قصة جزيرة قوصرة العربية

— ١ —

موقع قوصرة :

في الضفة الغربية من البحر المتوسط جزائر متعددة ، منها الكبيرة التي تجاوز مساحتها رقعة البلاد الافريقية ، ومنها الصغيرة التي لا يبلغ شأنها أحد الأعمال التونسية ، وما من هذه الجزائر بين كبيرة وصغيرة — الا وقد عرفه العرب وفتحوه بأساطيلهم مدة انتشار سلطانهم ، وملكوه زماناً طويلا ، ونقلوا اليه وسائل حضاراتهم وأسباب تمدنهم ، زيادة على نصبهم طوائف من العرب وأجناساً من البربر في أراضيه .

ومن هـذه الجزائر (سردانية) و (كرسكة) والجزائر الشرقية للأندلس (ميورقة ومنورقة ويابسة) التي وقع فتحها كلها على يد مسلمي المغرب ، سواء من اسبانيا أو من إفريقية التونسية .

ومنها (صقلية) جزيرة البحر المتوسط العظمى — واتساعها ثلاثة أضعاف الديار الافريقية — وقد قيض الله الأغالبة أمراء القيروان فامتلكوها ، بعد غزوات وحروب عنيفة شغلت أبناء افريقية طوال القرن الثالث للهجرة ، ثم ألحقوها بملكهم المتسع العتيد ، فكانت من أعماله .

ومن صغار الجزر (مالطة) وتوابعها ، تلك التي رسخت قدم العربية فيها وتغلغلت في عروقها الروح الشرقية ، فلم تكن لتتركها الى اليوم .

وهناك جزيرة صغيرة أخرى تجاور الأرض التونسية ، وتسامتها من الشمال الشرقي ، وتنظر دوماً اليها ؛ وقد حافظت على كثير من الآثار التي ورثها الحفدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن الأجداد ، وتعني بها هذه الجزيرة الصغيرة المشهورة اليوم باسم بنطلارية [١] .

هذه الجزيرة في منتصف الطريق بين صقلية وافريقية ، وتبلغ جملة مساحتها نحو خمسة وثمانين ميلاً مربعاً ، ولا يتجاوز عدد سكانها العشرة آلاف نسمة . وبعبارة أخرى هي بمثابة احدى المدائن المتوسطة من البلاد التونسية — مثل المهدية أو نابل — ولها مرسى مأمون اتخذته الحكومة الايطالية في هذا الوقت القريب مركزاً أساسياً للطيران الحربي .

تعريف القدماء :

وقبل الاحاطة بما بقي في قوصرة من الآثار والتقاليد يجدر أن نشير الى ما عرفها به الجغرافيون العرب ، وما قال عنها أصحاب تقاويم البلدان .

فهذا الشريف الادريسي — صاحب الملك رجار — يكتب عنها في القرن السادس من الهجرة [٢] : « وجزيرة قوصرة توازي حصن أقليبية من أرض

---

(١) قوصرة (Cossyra) اسم يوناني ، ومعناه السلة أو السفط او الزنبيل ، وكان هذا الاسم أطلق عليها للمشابهة الموجودة بين صورة الجزيرة وتلك الآداة . ومن غريب الاتفاق أن كلمة قوصرة في اللغة العربية لها هذا المعنى بعينه ، قال الليث :

القوصرة — بالفتح ثم السكون والصاد المهملة — وعاء التمر ، وهي القفة والزنبيل وما جاء على شكلها ، وأنثيتها ابن القطاع الصقلي فقال بالألف : قوصرا . (راجع معجم البلدان : ياقوت ١٨٣/٧) .

وأنشدوا لعلي بن ابي طالب :

أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة

فالقوصرة هنا إناء يجعل فيه التمر . (راجع الاقتضاب لابن السيد وتحفة العروس للتجاني ، ص ١٥٤) .

ومما يزيد الأمر غرابة أن بنطلارية (Pantellaria) وهو الاسم الذي أطلقه الاسبان عليها فيما بعد معناه أيضاً الحصنة والقرطلة ، فالمعنى واحد في مختلف اللغات .

وهناك توجيه آخر ربما كان أقرب للواقع ، وهو اشتقاق هذا الاسم من اللغة الفينيقية التي كانت شائعة قديماً في شمال افريقية وجزائر البحر المتوسط ، وهو (قيصرة) تصغير قصرة ، والمعنى واحد في الفينيقية وأختها العربية .

(٢) كتاب نزهة المشتاق للادريسي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

افريقية ، وتوازي بين مدينة الشافية (Sciacca) ومازرة (Mazzara) من صقلية ، وبينهما مجرى ، وهي جزيرة خصيبة فيها آبار وسواحل وأشجار زيتون ، وفيها معز كثير برية متوحشة ، ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون من الرياح » .

ويقول ياقوت الحموي [١] : « هي جزيرة في بحر الروم بين المهدية وصقلية ، فتحها المسلمون في أيام معاوية ، وبقيت بأيديهم ثم خرجت ، وقيل ان في أيامنا هذه — يعني القرن السابع — فيها قوم من الخوارج الوهبية » .

ويصفها ابن سعيد الغرناطي — المتوفى بتونس سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) — بقوله [٢] : « جزيرة قوصرة التي يجلب منها شريحة التين والقطران ، وهو يلتقط من شجر الصرو ، وبها المصطكى وهي للمسلمين تحت عهد فرنج صقلية ، وهي شرقي (الحمامات) على ساحل مدينة سوسة ، ومنها فتح المسلمون جزيرة صقلية » .

وأورد ذكرها الملك المؤيد أبو الفداء — المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) — في تقويم البلدان ، فقال : « وجزيرة قوصرة قبالة افريقية بالقرب من تونس ، وبينها وبين صقلية مجرى ، ويوجد بها شجر المصطكى . ويجلب منها (الى افريقية التونسية) التين والقطن الكثير » .

وسنتكلم عن قطنها فيما يلي .

وفي « المسالك » لابن فضل الله العمري [٣] — من القرن الثامن للهجرة — : « وجزيرة قوصرة المقاربة لتونس ، وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة على مقرر لهم ، ومثل هؤلاء المسلمين — اذا كانوا تحت أيدي الفرنج — يعرفون في بلاد المغرب باسم (المدجنين) » . وسنعود الى تفسير هذا اللفظ .

هذه خلاصة ما قاله جغرافيو العرب عن قوصرة .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان (طبعة مصر) ج ٧ ، ص ١٨٣ .

(٢) كتاب « بسط الارض في طولها والعرض » لنور الدين علي بن سعيد ، نقلاً عن مجموعة أماري ص ١٣٤ .

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار — لابن فضل الله — خط بمكتبة جامع الزيتونة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفتح العربي :

واذا ما أردنا البحث عن تاريخ استيلاء المسلمين عليها يتلخص لنا :

أن انتصاب غزاة العرب بافريقية ، وامتلاكهم قرطاجنة — أم البلاد وعاصمتها الكبرى — من يد الروم البيزنطيين ، في الربع الأخير من القرن الأول للهجرة (آخر السابع للميلاد) ، دعاهم بحكم الضرورة القاهرة الى توجيه أنظارهم الى غزو الجزائر المتوسطة في البحر بين العدوتين الافريقية والأوربية .

وقد حملهم على ذلك أمران : الأول — وجوب التوقي من هجمات الروم البيزنطيين ، ودفع غائلتهم عن التراب الذي امتلكه الاسلام ، ثم اتخاذ الوسائل لبسط نفوذهم على ما وراء البحر المتوسط من البلاد . الأمر الثاني — التفكير في مد سلطانهم على المراكز الحائلة بين سلطنتهم والبر الكبير ، وقد كانت هنالك نقط مقاومة لعدوهم ، لذلك ترى أن اول ما شرع فيه الولاة الأمويون — بعد الاستيلاء على افريقية — هو انشاء دار صناعة بحرية — وهي الأولى من نوعها — في الاسلام . ولم يكن اختيارهم مكان قرطاجنة لهذا الانشاء من باب المصادفة ، وانما كان عن تدبير حكيم وخبرة سياسية بما ينجز للعرب الغرض الذي قصدوه والغاية التي طمحت اليها نفوسهم .

أسس حسان بن النعمان الغساني — حدود سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) دار صناعة لانشاء السفن ، وجلب اليها العدة المناسبة ، وأقر حولها ألف قبطي بعيالهم ، نقلهم من مصر ، كل ذلك بموافقة الخلافة الأموية وتدبير ساستها الأفذاذ .

ومن ذلك الحين شرعت الأساطيل الافريقية في خوض عباب البحر المتوسط ، والتعرف بساحاته ، والتحكك بساكني سواحله من الافرنج ، بغزوات متوالية وغارات متتابعة أدت في النهاية الى نصب سلطان الاسلام على كثير من المراكز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العرب والبحر :

ويناسب في هذا المقام أن نورد هنا فكرة العلامة ابن خلدون في أسباب تفوق العرب في البحر ، وما كان لذلك من الشأن ، قال [١] :

« وكان المسلمون لعهد الدولة العربية قد غلبوا على هذا البحر (يعني : البحر المتوسط) من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه ، مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية ، وقوصرة ومالطة وافريطش وقبرص ، وسائر ممالك الروم ، والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على الأكثر من لجة هذا البحر ، وصارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة ، والعساكر الاسلامية تجيز البحر في أساطيلهم من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية ، فتوقع بملوك الافرنج وتثخن في ممالكهم ... وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدوها ، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد بفريسته » .

وأول من غزا قوصرة — وما جاورها من الجزائر — هو القائد المغوار عبد الملك ابن قطن الفهري ، في ولاية موسى بن نصير لافريقية — سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) ؛ وكان خروج الأسطول اليها من دار صناعة تونس . ثم غزاها حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، في مدة ابن الحبحاب — في حدود سنة ١١٨ هـ (٧٣٦ م) .

وفي اعتقادنا أن استيلاء المسلمين النهائي على هذه الجزيرة كان في حوالي سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) ، على يد الأمير عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، حفيد

(١) المقدمة لابن خلدون .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عقبة بن نافع ، رضي الله عنهم أجمعين . وقد كان عبد الرحمن هذا استقل بأمر افريقية والمغرب ، في آخر الدولة الأموية بالمشرق ، وتزوج هو واخوته بأميرات من بني أمية لجأن الى القيروان عند سقوط آل بيتهن ، فيكون فتح قوصرة قد وقع ثلاثة أرباع القرن قبل حملة الأغالبة على صقلية .

ثم كان امتلاك بني الأغلب لجزيرة صقلية — سنة ٢١٢ (٨٢٧ م) ، بقيادة أسد بن الفرات ، وقد اتخذوا قوصرة مدة حملتهم محطاً وسطاً لأساطيلهم في الغدو والرواح ، ونصبوا بها مركزاً معتبراً لحمام الرسائل في المخابرة السريعة .

العمران العربي :

وقد أفادت قوصرة الجيش الفاتح بموقعها الوسط افادة عظيمة ، إذ أنها ساعدت الافريقيين على الاحتماء بقلعتها والتحصن برفئها المنيع . ونظراً لحصانة هذا الموقع الحربي عُني بنو الأغلب بقوصرة عناية خاصة ، وفكروا في تعميرها لقلة ساكنيها وقتئذ ، اذ كانت غير آهلة ، فجعلوا ينقلون اليها من نصارى صقلية الداخلين تحت ذمتهم الثلة بعد الثلة ، بواسطة سفائنهم الشراعية ، ونصبوهم بها ، ووزعوا عليهم من سهول أراضيها الخصبة ما يكفي حاجتهم الزراعية .

وانتقل الى سكناها بعد ذلك بشرٌ من فلاحي الساحل التونسي ، من عرب وأفارقة ، ونزلوا بها مجاورين للنصارى الايطاليين النازلين فيها . فلم يمض زمان بعيد حتى أصبحت قوصرة تضم بين جوانبها عدداً كبيراً من نصارى الذمة والأفارقة المسلمين ، وقد فعل الدهر فيهم فأدمجهم في البوتقة الاسلامية ، فأضحوا بعد حين كتلةً واحدةً متحليةً بالأخلاق العربية ، لا تعرف غير الضاد لغة .

وبذلك يتضح بعد مرمى الأمراء من بني الأغلب ، ومهارتهم في أساليب السياسة ، وخبرتهم التامة بنواميس العمران وقواعد الاجتماع .

حقاً انه لمنهج جديد فتحه الأغالبة في نظرية الاستعمار المفيد ، ولا إخال دولة سبقتهم الى سياسة اشراك العناصر المختلفة في تعمير الأرض واحيائها ، من غير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التفات الى جنس أو تحيز الى معتقد ، لا سيما وأنا نعلم علم اليقين أن الأغالبة هم الذين أدخلوا الى صقلية ومالطة — وخصوصاً الى قوصرة — أسباباً من الفلاحة الملائمة لتربتها الجبلية . فمن ذلك زراعة القطن التي انتشرت في عهدهم ، ولم تكن معروفة من قبل ، وظلت في نمو الى اليوم ؛ وقد أشار الى ذلك ابو الفداء فيما تقدم ، وكان القطن وقتئذ من أهم غلات البلاد الافريقية ، أدخله اليها العرب بعد الفتح ، وانبث زرعه في ناحية الواحات — قابس وبلاد الجريد — ، فوفقت الادارة الأغلبية الى نقل زراعته الى ممتلكاتهم كما مر .

وما زالت قوصرة تنتفع بزراعة القطن الى اليوم ، محافظة على الأسماء العربية العتيقة في صنعه وآلات نسجه ، كقولهم مثلاً : محلوج (Malugiu) ويقصدون به القطن المندوف قبل غزله ، وقولهم : ردّانة (Ruddana) وهي آلة صغيرة من خشب تدار باليد ويغزل بواسطتها القطن ، وهي آلة معروفة ؛ غير أنهم يضمون الراء من الكلمة وهي مفتوحة في العربية .

ولا مراء في أن قوصرة أضحت من لدن العصر الأغلبي مستعمرة ذات صبغة عربية زاهرة ، اتخذت فيها السلطة القيروانية مركزاً حربياً ، وفيه محطة لحمام الرسائل الذي تستعمله الدولة في المخابرات السريعة بتحميله البريد المستعجل تحت أجنحته ، يغدو ويروح بين البر الافريقي والأساطيل ؛ واستمرت الحال على ذلك سائر مدة الدولة العبيدية الوارثة للأغالبة . وقد نشطت هجرة الافارقة الى قوصرة ، فقصدوها زرافات ووحداناً ، لا سيما أبناء الخوارج من البربر الذين اضطهدتهم الدعوة الفاطمية الشيعية فاضطروا للالتجاء الى الجهات القاصية .

تقلص السلطة السياسية :

ثم ظهرت قوة النورمان في البحر المتوسط — منتصف القرن الخامس (الحادي عشر م) ، وقد زحزحت بالتدريج السلطة العربية من صقلية وبقية الجزائر ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عند اخفاق دولة بني زيري الصنهاجيين في افريقيـة وما والاها ، بسبب زحفة بني هلال وبني سليم على البلاد ، وقضائهم على التمدن الافريقي . وعبثاً حاول المعز ابن باديس استرجاع صقلية وتوابعها ، وقد جهز أسطولاً ضخماً شحنه بالعدة والعدد نجدة لمن بصقلية من المسلمين — سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٣ م) . وكان الوقت شتاء ، فلما كان الأسطول بحذاء قوصرة هاجت عواصف البحر ، فغرق أكثره ، ولم ينج منه الى الساحل الافريقي الا القليل .

وانضوت سائر الجزائر التي كانت للمسلمين في تلك النواحي الى مملكة (رجار) كبير النورمان — سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، وقد أسس بصقلية ملكاً قوياً ، تولاه هو وبنوه من بعده ، والملك لله وحده .

وكان من سياسة النورمان أن أمنوا المسلمين في النفس والمال ، وأقروهم بمنازلهم ، واحترموا معتقدهم فلم يسوهم بسوء ، بل استمالوهم بالعدل ، وقربوا علماءهم فدونوا لهم المصنفات الجليلة ، واستنشدوا شعراءهم ، فمدحوهم ببديع الأشعار ، وبالجملة اتخذ النورمان من المسلمين البطانة والحرس والعشير ، تشهد بذلك رحلة ابن جبير الوزير الأندلسي .

وبتلك السياسة طمحت نفس ملك صقلية النورماني الى الاستيلاء على الساحل التونسي ، فجهز الجمط رجار (Comte Roger) جيشاً عرمرماً شحنه في أساطيله ، وقصد به المهدية — عاصمة افريقية — على عهد آخر ملوك صنهاجة — ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) ونزل الصقليون في مكان الديماس — حدود قرية البقالطة الآن — ، والتقى بالجند الصنهاجي وما انضم اليه من المتطوعة ، وبعد مقاتلة عنيفة كانت الدائرة على جيوش النصارى ، وتفللت صفوفه .

وفي هذا الانهزام يقول شاعر صقلية الفحل عبد الجبار بن حمديس من قصيدة عصماء ، يمدح بها آخر ملوك صنهاجة الحسن بن علي ، ومطلع القصيدة[1] :

(١) راجع ديوان ابن حمديس ، طبعة روسية سنة ١٨٩٧ ، ص ٢٢٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبى الله إلا أن يكون لك النصر وأن يهدم الايمان ما شاده الكفر

ومنها :

فما للعلوج امتدّ في الغيّ جهلهم أما كان فيهم من لبيب له حجر
فكم قسموا في الظن أميال أرضنا ولم يطئوا منها مكاناً هو الشبر

ومنها :

أما فتحت منهم بلاداً بلادنا فنزعهم كفراً على إثره كفر
وكانت مفاتيح البلاد سيوفنا وأقفالها اذ فتحهن له عسر
ألم يسب جيش الغزو منهم نواعماً فمن ثيب تقتاد في إثرها بكر

ومنها ، وقد ذكر انه كان يوجد بجزيرة قوصرة صرح مؤلف من رؤوس قتلى الحرب :

وقوصرة فيها رؤوس جدودهم الى اليوم ملآن بأفلاقها العفر
فلو تسأل الريح المعاطيس منهم لأخبرها عن كل شلو بها ذفر

ومنها ، وقد أشار الى استيلاء النورمان على صقلية وقوصرة :

وما قتلوا من شدة البأس أهلها ولكنهم قلّ أحاط بهم كثر
أتعجم نبع العرب عجم ولا يرى لما اشتد منها في نواجذها كسر
توالت عليها منهم كل صيحة كما روع الأعيار من أسد زأر

وهي قصيدة طويلة كلها عيون .

وبعد وقعة الدمياس جدد القمط رجار كبير النورمان حملته على المهدية فامتلكها هي والساحل التونسي — سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) ، وتشرد الحسن بن علي آخر الصنهاجيين الى المغرب ، في خبر طويل مبسوط في التاريخ التونسي ، وكان ذلك آخر عهد للسلطان الاسلامي بجزائر البحر .

أما صقلية ومالطة وقوصرة وما سواها فقد دامت بيد النورمان الى أن خلفهم عليها رؤساء الافرنج من الجرمان ، وما كادوا يبسطون نفوذهم على تلك الأصقاع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى تغيروا على بقايا المسلمين المدجنين المقيمين تحت ذمتهم ، فساموهم سوء العذاب ، وأنزلوهم منزلة الذل والهوان ، وألحقوا بهم ألواناً من القساوة والاضطهاد .

أنتجت سياسة الارهاق التي سلكها الجرمان من أسرة هوهنشطوفن (Hohenstaufen) ، وبعدهم الافرنج من سلالة آنجو (Anjou) أن هاجر جماهير من مسلمي صقلية والجزائر الأخرى الى افريقية التونسية ، لاجئين اليها بحشاشة أنفسهم ودينهم ، فرحب بمقدمهم ولاة الموحدين والأمراء الحفصيون وفسحوا لهم المجال . فانخرط بعضهم في الجيش الافريقي لما كانوا يحسنون من فنون الحرب ، واتجه قسم كبير منهم الى فلح الأرض واحياء الموات ، واشتغل أهل المعرفة منهم بتدريس العلوم . ومن بين هذا الصنف الأخير (آل الصقلي) الأشراف الادريسيون ، فانهم استقلوا بصناعة الطب في الحاضرة التونسية ، وتداولوا عليها خلفاً عن سلف ، ونالوا من الشهرة الكبيرة ما هو معلوم . ولا يبعد ان يكون أفراد هذا البيت الصقلي من ذرية الشريف الصقلي ، صاحب الملك رجار ومدون الكتب النادرة له .

وبطبيعة الأمر فان هؤلاء المهاجرين ، انما كانوا من طبقة السراة والمياسير ، أما لفيف القوم والرعاع — وهم القسم الأوفر — ، فقد اضطروا للبقاء في أوطانهم عرضة للظلم والعذاب .

قوصرة وبنو حفص :

ولطالما تدخل أمراء الدولة الحفصية لأول أمرهم في شؤون تلك الجزائر ، وهددوا الطغاة من ملوك الافرنج بالانتقام ان لم يرتدعوا عن سيرهم الغاشم ، ويرعوا حقوق من بطرفهم من ضعفاء المدجنين ، وآخر الأمر استقرت الحال على عقد معاهدة صلح ومهادنة بين المولى أبي زكرياء الأكبر أول مالك من بني حفص وفريدريق الثاني (Frederick II) ، امبراطور الدولة الرومانية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المقدسة وملك صقلية ، بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة من سنة ٦٢٨ هـ (٢٠ ابريل ٢٣١ م) ، لمدة عشر سنين . وبمقتضى هذه المعاهدة وقع الاعتراف من لدن الدولة الحفصية باستيلاء فريدريق على جزيرة قوصرة (بنطلارية) ، لكن بشرط رجوع نصف محصول ضرائبها الى الحكومة التونسية تتقاضى ذلك في كل عام . وقد نص هذا الصلح على وجوب احترام المسلمين المقيمين بمملكة فريدريق في عقائدهم الدينية ، واستقلالهم بأحكامهم الشرعية والعرفية [1] .

دام العمل بنص المعاهدة المتقدمة ما دام الأمير أبو زكرياء الأول في قيد الحياة ، وكانت له أياد بيض في موالاة من بقي من مستضعفي المسلمين بجزائر البحر ، وعناية مشكورة بشؤونهم ورقة لحالهم ، وامدادهم بما يحتاجون اليه من مرشدين ووعاظ . فلما قضى ابو زكرياء نحبه تنكب الافرنج عن المدجنين ، وصوبوا نحوهم أنواعاً من المكر والخداع . قال ابن خلدون [2] :

« ولما بلغ الخبر بهلك الأمير أبي زكرياء — ٢٣ جمادى الآخرة ٦٤٧ هـ (٤ اكتوبر ١٢٤٩ م) — الى صقلية ، وكان المسلمون بها في مدينة (بلرم) قد عقد لهم السلطان مع صاحب الجزيرة على الاشراك في البلاد والضاحية ، فتماكنوا ، حتى اذا بلغهم مهلك السلطان بادر النصارى العيث فيهم . فلجأوا الى الحصون والأوعار ، ونصبوا عليهم ثائراً من بني عبس . وحاصرهم طاغية صقلية بمعقلهم في الجبل ، وأحاط بهم حتى استنزلهم ، وأجازهم البحر الى عدوته ، وأنزلهم لوجارة (Lucera) من عمائرها ، ثم تعدى الى جزيرة مالطة وقوصرة ، فأخرج المسلمين الذين كانوا بهما ، وألحقهم باخوتهم ، واستولى الطاغية على صقلية وجزائرها ، ومحا منها كلمة الاسلام بكلمة كفره ، والله غالب على أمره » .

(يتبع) حسن حسني عبد الوهاب

(١) راجع نص المعاهدة في كتاب Traités de paix et de Commerce تأليف Mas Latrie ص ٨٢ ، ١٢٣ ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ، طبعة الجزائر ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net